منهج ابن كمال باشا في شرح الحديث الشريف

د. عواد الخلف*

المبحث الأول: التعريف بابن كمال باشا:

اسمه ونسبه:

هو الإمام، العالم، العلامة، شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا[١]. فنسب إلى جده كمال باشا، واشتهر بابن كمال باشا، أو كمال باشا زاده، أو ابن الكمال الوزير. كما عرف واشتهر بـ"مفتي الثقلين"، لسعة اطلاعه.

مولده ونشأته وطلبه العلم:

ولد شمس الدين أحمد في سنة ٨٧٣هـ (١٤٦٨-١٤٦٩م) بمدينة طوقات من نواحي سيواس (طوقات وسيواس: مدينتان تقعان في شمال شرق تركيا).

ونشأ أحمد شاه في بيت عز، إذ كان جده كمال أحد أمراء الدولة العثمانية، وكان ذا مكانة لدى سلاطينها، حيث كان مربيا لبايزيد الثاني، ولي العهد آنذاك، ثم صار "نشانجي الديوان

* رئيس قسم النشر العلمي بجامعة الشارقة. alkhalaf@sharjah.ac.ae

١ للتوسع في ترجمته انظر: طاشكبري زاده: **الشقائق** ٢٢٧-٢٢٨؛ الكفوي: **كتائب أعلام الأخيار** ٣٨٠ب-٣٨٣أ؛ التميمي: **الطبقات السنية** ١: ٣٥٥-٣٥٧؛ الغزي: **الكواكب السائرة** ٢: ١٠٧-١٠٨؛ حاجي خليفة: **كشف الظنون** ١: ٢٨٣؛ ابن العماد: **شذرات الذهب** ٨: ٢٣٨-٢٣٩؛ ابن الغزي: **ديوان الإسلام** ق ٧١؛ اللكنوي: **الفوائد البهية** ٢١ــ٢٢؛ البغدادي: **هدية العارفين** ١: ١٤١-١٤٢؛ جميل بك العظم: **عقود الجوهر** ١: 226-217؛ محمد طاهر البروسوي: **عثمانلي مؤلفلري** ١: ٢٢٣ -٢٢٤؛ البستاني: **دائرة المعارف** ٣: ٤٨٢؛ سركيس: **معجم المطبوعات العربية** ١: ٢٢٧-٢٢٨؛ الزركلي: **الأعلام** ١: ١٣٣؛ كحالة: **معجم المؤلفين** ١: ٢٣٨؛ بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي** (بالألمانية): ٢: ٥٩٧ــ٦٠٢، **والذيل** ٢: ٦٦٨-٦٧٣، ١٣٠٦. نهال آدْسِزْ: **الكشف البيبليوغرافي لمؤلفات ابن** كمال باشا **في مكتبات إستانبول**، مجلة الشرقيات، العدد السادس ٧١-١١٢، والسابع ص ٨٣-١٣٥ (باللغة التركية).

السلطاني" (أي: الذي يختم المراسم والمكاتيب بختم السلطان المعروف بطغراء السلطان)[1].

وكذلك كان والده سليمان بن كمال باشا من قادة الجنود الإسلامية الخاقانية في زمن السلطان محمد الفاتح، واشترك في فتح القسطنطينية مع جنود سنجقِ أماسيا عام ٨٥٧هـ-١٤٥٣م، وصار بعد الفتح وكيلا لجند السلطان برتبة "صوباشي" أي منصب من تتوفر فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان، ثم توفي والده سليمان في استانبول.

وأما أمه فهي منتمية إلى أسرة علمية، فهي بنت المولى الفاضل محيي الدين محمد الشهير بابن كُوبَلو (ت ٨٧٤هـ)، وهو من العلماء المشهورين بالفضل في زمانِهم، جعله السلطان محمد الفاتح قاضيا بالعسكر المنصور بعد ما تولى بعض المناصب، ثم عزله في سنة ٨٧٢هـ. وكان للمولى المذكور بنتان، تزوج إحداهما المولى سنان باشا، وتزوج ثانيتهما سليمان جلبي ابن كمال باشا، فولد له منها ولد، اسمه أحمد شاه، وهو العالم الفاضل المشتهر في الآفاق بابن كمال باشا.

وقد نشأ محبا لتحصيل العلم ، وسعى إلى اكتساب الفضائل والمعرفة، وحفظ القرآن الكريم، واهتم باللغة العربية، وأحاط علما بوجوه القراءات، وحرص على الأدب وكتبه والشعر ونظمه.

ولما كان آباؤه من قادة جيوش المسلمين، لحق بزمرة العسكر، وانقطع بذلك عن طلب العلم، وظل يشتغل ويترقى في الرتب العسكرية.

وخرج سنة ٨٩٧هـ في سفر مع الجيش السلطاني متوجها نحو ألبانيا، وكان في هذا السفر في معية الوزير الكبير إبراهيم بن خليل باشا، وكان معهم الأمير أحمد بك بن أَوْرَنوس، وهو الأمير المقدم على غيره آنذاك.

وحدثت حادثة في مدينة فليبه (مدينة تقع إلى الجنوب الشرقي من صوفيا، عاصمة بلغاريا)- أثّرت في نفس ابن كمال باشا، فتحول من صفوف الجيش إلى صفوف طلبة العلم.

قال ابن كمال باشا: "وكنتُ واقفا على قدميّ قدام الوزير المزبور، والأمير المذكور عنده جالس، إذ جاء رجل من العلماء، رث الهيئة، دنيء اللباس، فجلس فوق الأمير المذكور، ولم

[1] **مقدمة تحقيق معنى النظم والصياغة** لابن كمال باشا، في "مجلة الجامعة الإسلامية"، العددان ٧١-٧٢، السنة ١٨، ١٤٠٦هـ، ص ١٧٠ للدكتور حامد صادق قنيبي.

يمنعه أحد عن ذلك، فتحيرتُ في هذا، فقلت لبعض رفقائي: من هذا الذي جلس فوق هذا الأمير؟

فقال: هو رجل عالم مدرس بِمدرسة فِليبه، يقال له: المولى لطفي.

قلت: كم وظيفته؟

قال: ثلاثون درهما.

قلت: فكيف يتصدر هذا الأمير، ومنصبه هذا المقدار؟

قال رفيقي: إن العلماء معظمون لعلمهم، ولو تأخر لم يرض بذلك الأمير، ولا الوزير.

قال رحمه الله تعالى: فتفكرت في نفسي، فقلت: إني لا أبلغ مرتبة الأمير المسفور في الإمارة، وإني لو اشتغلت بالعلم يمكن أن أبلغ رتبة العالم المذكور، فنويت أن أشتغل بالعلم الشريف.

وقد أثرت هذه الحادثة في مجرى حياته جذريا، فترك الجيش بعد عودته من السفر، ولازم العلماء.

يقول: "فلما رجعنا من السفر، وصلت إلى خدمة المولى المذكور "لطفي"، وقد أعطي هو عند ذلك مدرسة دار الحديث بِمدينة أدرنه، وعين له كل يوم أربعون درهما. فقرأت عليه حواشي المطالع".

هذا إضافة إلى ما حصله من العلوم في أول طلبه، ثم حرص على أخذ العلم عن عدد من العلماء.

شيوخه:

ومن العلماء الكبار الذين أخذ عنهم العلم، وتأثر بِهم ابن الكمال:

١- المولى لطف الله التوقادي، الشهير بـ"ملا لطفي" ت. ٩٠٠هـ.

٢- المولى مصلح الدين مصطفى القسطلاني (ت. ٩٠١هـ).

٣- المولى محيي الدين محمد بن إبراهيم الشهير بابن الخطيب أو بخطيب زاده المولى سنان الدين يوسف المعروف بابن الْمُعَرِّف.

تلاميذه:

١- المولى محيي الدين محمد بن بير محمد باشا الجمالي (ت ٩٤١هـ).

٢- المولى سعد الله بن عيسى، المعروف بسعدي جلبي (ت ٩٤٥هـ).
٣- المولى هداية الله بن مولانا بار علي العجمي (ت ٩٤٨ أو ٩٤٩هـ).
٤- المولى محيي الدين محمد بن عبد الله الشهير بمحمد بك (ت ٩٥٠هـ).
٥- المولى محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم (ت ٩٥٥هـ).
٦- المولى عبد الكريم الوِيْزَوي (ت ٩٦١هـ).
٧- المولى درويش محمد (ت ٩٦٢هـ).
٨- المولى محيي الدين محمد بن عبد القادر، المشتهر بالمعلول (ت ٩٦٣هـ).
٩- مصلح الدين مصطفى ابن المولى سيدي المنتشوي (ت ٩٦٤هـ).
١٠- المولى يحيى جلبي ابن أمين نور الدين، الشهير بأمين زاده (ت ٩٦٤هـ).

منْزلته العلمية:

بعد اجتهاده في الطلب والتحصيل وملازمته لعلماء عصره في العلوم المختلفة صار من أكابر العلماء العثمانيين في عصره، وبلغ منْزلة رفيعة. جعلته يتقن أكثرَ من علم، كما يتقن أكثر من لغة إلى جانب لغته التركية- كالفارسية، إضافة إلى إتقانه العربية، وله في هذه اللغات الثلاث مؤلفات تكشف عن سعة علم وتبحر.

ثناء العلماء عليه:

قال عنه طاشكبري زاده (ت ٩٦٨): "وكان -رحمه الله تعالى- من العلماء الذين صرفوا جميع أوقاتِهم إلى العلم، وكان يشتغل بالعلم ليلا ونَهارا، ولم يفتر قلمه، وصنف رسائل كثيرة في المباحث المهمة الغامضة... وكان صاحب أخلاق حميدة حسنة، وأدب تام، وعقل وافر، وتقرير حسن ملخص، وله تحرير مقبول جدا لإيجازه، مع وضوح دلالته على المراد. وبالجملة أنسى -رحمه الله تعالى- ذكر السلف بين الناس، وأحيا رباع العلم بعد الاندراس، وكان في العلم جبلا راسخا، وطودا شامِخا، وكان من مفردات الدنيا، ومنبعا للمعارف العليا.

وكان ابن الحنائي، علاء الدين على بن محمد (ت٩٧٩هـ) اتخذ من أسماء المشهورين طبقة في كتابه "طبقات الفقهاء". وجعل العلامة ابن كمال باشا عنوان طبقته، فقال: "ثم انتقل الفقه إلى طبقة المولى أحمد بن سليمان بن كمال باشا"، وإن دل صنيعُه هذا على شيء فإنه يدل على شهرته الواسعة، وصيته الذائع في حياته، وكذلك بعد مَماته.

فوصفه تلميذه العلامة أبو السعود العمادي (ت ٩٨٣هـ)، بأنه "العالم الرباني، والعارف الخاقاني، فاضل الروم، والفائق في جميع العلوم، شيخ الخافقين، ومفتي الثقلين ابن كمال باشا قدر الله ما يشاء".

وكذلك وصفه العلامة الكفوي (ت ٩٩٠هـ) بأنه "أستاذ الفضلاء المشاهير، إسناد العلماء النحارير، إمام الفروع والأصول، علامة المعقول والمنقول، كشاف مشكلات الكلام القديم، حلال معضلات الكتاب الكريم، مفتي الثقلين، لسان الفريقين، السائر تصانيفه سير الخافقين، شيخ الإسلام والمسلمين، شمس الملة، وضياء الدين... وله تصنيفات كثيرة معتبرة، متداولة بين أيدي العلماء، مقبولة لدى الفضلاء... ولم يُذكر في مجلسه مسألة من كل الفنون إلا وهو كان يعلمه... وكل تصانيفه مقبولة بين الأعيان، متداولة بين أهالي الزمان، وكان عدد رسائله قريبة من مئة رسالة، كل منها جامعة الفوائد، عامة العوائد... وبالجملة أنسى –رحمه الله– ذكر السلف بين الناس، وأحيا رباع العلم بعد الاندراس، وكان من مفردات الدنيا، ومنبعا للمعارف العليا، شهرته تغني عن التفصيل والإطناب. والحاصل ما من فن إلا وله فيه حكمة وفصل خطا"ب.

الموازنة بين ابن كمال باشا والسيوطي:

واختلف النقاد المترجمون في الموازنة بينهما، فذهب التميمي إلى أن ابن كمال باشا قد حاز السبق على السيوطي فقال: "وعندي أن ابن كمال باشا أدق نظرا من السيوطي، وأحسن فهما، وأكثر تصرفا، على أنّهما كانا جمال ذلك العصر، وفخر ذلك الدهر، ولم يخلف أحد منهما بعده مثله، رحمه الله تعالى".

ومضى العلامة أبو الحسنات عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ) يرجح كفة الإمام السيوطي من زاوية معينة فقال عقب كلام التميمي: "أقول: هو إن كان مساويا للسيوطي في سعة الإطلاع في الأدب والأصول، لكن لا يساويه في فنون الحديث، فالسيوطي أوسع نظرا، وأدق فكرا في هذه الفنون منه، بل من جميع معاصريه، وأظن أنه لم يوجد مثله بعده، وأما صاحب الترجمة فبضاعته في الحديث مزجاة، كما لا يخفى على من طالع تصانيفهما، فشتان ما بينهما كتفاوت السماء والأرض وما بينهما".

ويقول الدكتور حسن عتر بعد إيراد أقوال العلماء في موازنتهما: "قلت: اتفقوا على تفضيلهما على جميع علماء ذلك العصر، واختلفوا في ترجيح فضل أحدهما على الآخر. فإما أن

يكون أحمد بن سليمان كالسيوطي تَماما، أو أنه يليه مباشرة، فلا يتوسط بينهما أحد في العلم والفضل. والحق أن لكل منهما مزيته ورجحانه في جانب من العلوم، ولا ريب أن السيوطي أطول باعا، وأعظم تضلعا من علوم الحديث، وفي كل منهما خير عظيم وعلم غزير، رحمهما الله وجزاهما خيرا عن الإسلام والمسلمين".

مناصبه:

وبعد تحصيله العلمي على أيدي أفاضل علماء عصره صار مدرسا، من مدرسة إلى أعلى منها.

وفي سنة ٩١١هـ صار مدرسا بِمدرسة "علي بك"الشهير بالمدرسة الحجرية بأدرنه، إلى أن أصبح مدرسا لمدرسة السلطان بايزيد الثاني بأدرنه، وهي من أكبر المدارس العثمانية آنذاك.

وقد كلف من السلطان بايزيد الثاني أن يكتب تاريخ الدولة العثمانية، بتوصية من عبد الرحمن بن علي بن المؤيد (ت ٩٢٢هـ) - وكان قاضيا بالعسكر المنصور في ولاية أناطولي آنذاك-، ولأجل ذلك أعطى له السلطان بثلاثين ألف درهم، وقد قام العلامة ابن كمال باشا بِهذه المهمة خير قيام، فكتب "تواريخ آل عثمان"باللغة التركية، بدءا من سنة ٦٩٩هـ، وهي تاريخ قيام الدولة العثمانية، وانتهاء إلى عام ٩٣٣هـ، أي قبل تاريخ وفاته بسبع سنين.

وفي سنة ٩٢٢هـ، بعد عودة السلطان سليم الأول من سفره إلى جالدران، صار قاضيا لأدرنه.

كما أسند إليه الإشراف على تنظيم الأمور المِلْكية وتحريرها بِمدينة قونيه، وذلك أثناء عودة السلطان سليم الأول من القاهرة، سنة ٩٢٤هـ.

ثم أعطاه السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ) مدرسة جده السلطان بايزيد خان الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ) للمرة الثانية بِمدينة أدرنه. وذلك بعد سنة ٩٢٦هـ، ومكث فيها إلى أن صار مفتيا بقسطنطينية (أي مفتي الخلافة العلية العثمانية)، وبالأحرى شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، وذلك بعد وفاة المولى علاء الدين علي الجمالي الشهير بزنبيلي علي أفندي في سنة ٩٣٢هـ.

ولم يزل في منصب الإفتاء إلى أن توفي يوم الجمعة، الثاني من شوال، ٩٤٠هـ، في عهد السلطان سليم القانوني.

صفته الخلقية و الخلقية:

وكان -رحمه الله- ذا منظر حسن، جم الخلق، وافر الأدب، ولطيف العشرة، كريما، جوادا، قليل المقال، كثير التفكر، وكان صاحب أخلاق حميدة حسنة، وذهن متوقد.

مؤلفاته:

قلما يوجد فن إلا وله فيه مصنف أو مصنفات.

يقول الكفوي: "وله تصنيفات كثيرة معتبرة، متداوَلة بين أيدي العلماء، مقبولة لدى الفضلاء، وكان يكتب ما سنح بباله الشريف بأداء حسن، وتحرير لطيف، وقد فتر الليل والنهار ولم يفتر قلمه".

ويقول طاشكبري زاده: "وصنف رسائل كثيرة في المباحث المهمة الغامضة، وكان عدد رسائله قريبا من مئة رسالة، وله من التصانيف: تفسير حسن لطيف ...".

وقال سركيس: "وله مؤلفات تزيد على مئة وخمسة وعشرين كتابا، وقلما أن يوجد فن إلا وله فيه مصنف".

وقال جميل بك العظم: "وكان –رحمه الله– يصنف كل يوم ويكتب نحو كراسة، ويُمضي كل يوم نحو ألف فتيا، هذا مع اشتغاله بالتدريس"، ثم عدد مؤلفاته على حسب حروف المعجم، فبلغ ٢٢٠ مصنفا، إلا أن فيه شيئا من التكرار والخلط.

ويقول التميمي (ت ١٠٠٥هـ): "وله رسائل كثيرة في فنون عديدة، لعلها تزيد على ثلاث مئة رسالة".

وتأليفه لم يقتصر على اللغة العربية فحسب، بل ألف أيضا باللغة الفارسية، واللغة التركية، بالإضافة إلى نظمه الشعر في اللغات الثلاث.

ومن هذه المصنفات:

١- كتاب التجريد في أصول الدين.

٢- شرح تجويد التجريد.

٣- رسالة في الأجل.

٤- رسالة في حقيقة الميزان.

٥- رسالة في القضاء والقدر.

٦- تغيير التنقيح في الأصول.

٧- شرح تغيير التنقيح في الأصول.

٨- وصية ابن كمال باشا.

٩- التنبيه على غلط الجاهل (الخامل) والنبيه.

١٠- رسالة في المؤنثات السماعية.

١١- الفلاح شرح المراح.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعلم والعطاء أدركته المنية "في يوم الخميس، الثاني من شهر شوال، المنتظم في سلك شهور سنة أربعين وتسع مائة، بعد طلوع الشمس، في مدينة قسطنطينية، وصُلِّي عليه بعد الظهر من ذلك اليوم، في جامع السلطان محمد خان عليه الرحمة والرضوان. قيل في تاريخه: حل عليه رحمة الحق. وقيل: مات النحرير.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب الفوائد المترعة الحياض لابن كمال باشا:

اسم الكتاب: الفوائد المترعة الحياض في شرح الرياض، والكتاب مازال مخطوطا حبيس الأدراج أسأل الله أن ييسر من يخرجه إلى النور، وهذه النسخة الخطية كتبت بخط نسخي جميل وواضح،وهي تقع في ٤٧٩ ورقة وفي كل ورقة وجها ن، وفي كل وجه سبعة و عشرون سطرا، وفي كل سطر نحو عشرين كلمة، كتب على طرة الكتاب عنوان الكتاب واسم مؤلفه، كما أن على طرته عدد من التمليكات والوقف لهذا الكتاب، وهذه النسخة نسخت وقوبلت على نسخة المؤلف التي كتبت بخطه سنة ٩٩٧هـ، كما هو مثبت على الورقة الأخيرة من الكتاب ق٤٧٩-ب.

وعلى هذه النسخة أيضا علامات المقابلة على الأصل المقابل علية (نسخة المؤلف)، كما أن في آخره إثبات مطالعة بخط إسماعيل بن عبد الباقي الواعظ بالمسجد الأموي بدمشق.

وتكمن أهمية هذا الشرح في أهمية الكتاب المشروح رياض الصالحين للنووي، الذي سارت بذكره الركبان سير الشمس في البلدان، كما أن شروح هذا الكتاب ليست بالكثيرة ولا يغني بعضها عن بعض، ومن شروح رياض الصالحين:

*دليل الفالحين شرح ابن علان الشافعي.

*روضة المتقين شرح عبد القادر حسونة الدمشقي.

*الفتح المبين شرح طه عبد الرؤوف سعد.

*شرح الشيخ ابن عثيمين.

*نزهة المتقين شرح الدكتور البغا وغيره.

المبحث الثالث: ملامح منهج ابن كمال باشا في شرحه:

١- بين في مقدمة الكتاب أن أصله حواشي علقها على كتاب رياض الصالحين.

٢- جمع هذه الحواشي من كتب التفسير وشروح الحديث و كلام الأئمة.

٣- مصادره في كتب التفسير كثيرة إلا أن جل اعتماده على كتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، كما بين ذلك في المقدمة.

٤- ما انتخبه من تفسير الرازي فقد رمز له برمز "م" نسبة إلى اسم مؤلفه محمد بن عمر بن حسين، وما سوى ذلك من التفاسير فإنه ينص عليها صراحة.

٥- رمز لشرح صحيح مسلم للنووي وسائر مؤلفاته برمز"ن".

٦- رمز لشرح مختصر القرطبي برمز "ق".

٧- رمز لمعالم السنن للخطابي برمز "خط".

٨- رمز لشرح مصابيح السنة للتوربشتي برمز"تو".

٩- رمز لشرح القاضي البيضاوي برمز "قض".

١٠- رمز لشرح الشيخ المظهر برمز"مظ".

١١- رمز لشرح الشيخ الأشرف برمز "شف".

١٢- رمز للنهاية في غريب الحديث برمز "نه".

١٣- رمز للمفردات للراغب الأصبهاني برمز "غب".

١٤- رمز لشرح المشكاة للطيبي برمز"ط".

١٥- رمز لشرح صحيح البخاري للكرماني برمز "ك".

١٦- رمز لكتب شمس الدين ابن القيم برمز "ش".

١٧- إذا نقل عن أحد أصحاب الرموز السابقة فإنه يكتب رمزه ثم ينقل كلامه، ثم يذكر كلمة انتهى، علامة على انتهاء كلامه.

١٨- ترجم للنووي ترجمة موجزة في صفحتين.

١٩- لم يشرح مقدمة النووي لرياض الصالحين.

٢٠- بدأ بشرح الباب الأول ثم الحديث الأول، فقال: "الباب الأول في الإخلاص ...".

٢١- يتوسع في الشرح أحيانا.

٢٢- التفصيل اللغوي بنقل كلام الأئمة في الكلمة وبيان الفوائد والنكات اللغوية، كما في الحديث الأول.

٢٣- يذكر أثناء شرحه القواعد الفقهية والأصولية التي تناسب شرح الحديث.

٢٤- يذكر فوائد على شكل ضوابط كقوله: "الشرط والجزاء إذا اتحدا صورة تعلم منه التعظيم نحو أنا أنا، وشعري شعري، أو التحقير...".

٢٥- يذكر أثناء شرحه فوائد نحوية كاتحاد الخبر و فائدة الحذف ...إلخ.

٢٦- الأمانة العلمية في بيان مصدر العبارة التي يقتبسها بنسبتها إلى أصحابها، حيث يبدأ بالرمز الذي يبين مصدر الانتخاب ثم يقول: "انتهى" وهو من أساليب العزو القليلة التي على هذه الشاكلة لا سيما وأن ذلك داخل المتن لا في الهوامش.

٢٧- الترجيح عند نقل الأقوال مع التدليل على ما رجحه: "والثاني هو الأصح لكذا ...".

٢٨- يبدأ بشرح الحديث بنقل شرح النووي إن وجد ويرمز له برمز "ن" وهذا مناسب جدا.

٢٩- نقله ليس مجردا فشخصيته ظاهرة في ثنايا كتابه من خلال التعقيب والترجيح و التدليل فأحيانا يقول: "ذكره الطيبي ... وضعفه غير واحدمن أئمة التفسير..." كما في ق٣-ب.

٣٠- يحيل أحيانا إلى مزيد شرح في موضع آخر من الكتاب كقوله في الحديث الرابع: "وسيأتي لهذا الحديث مزيد بيان في الباب العشرين..".

المبحث الرابع: مقارنة شرح ابن كمال باشا بشرح ابن علان الشافعي.

١- اسم الكتاب: دليل الفالحين إلى طرائق رياض الصالحين وهو مطبوع غيرما طبعة.

٢- نبذة عن مؤلفه [1]:

هو محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم ابن محمد علان، البكري، الصديقي، الشافعي. مفسر، محدث، فقيه. كان إذا سئل عن مسألة ألف بسرعة رسالة في الجواب عنها. أخذ الفقه

[1] انظر **خلاصة الآثر** (١٨٤/٤)، و**الأعلام** (١٨٧/٧).

والحديث والنحو عن محمد ابن محمد بن جار الله والسيد عمر بن عبد الرحيم البصري وعبد الرحيم بن حسان وعبد الملك العصامي وغيرهم، وتصدر للإقراء والإفتاء. وقال عبد الرحمن الخيار إنه سيوطي زمانه، وأخذ عنه جماعة كثيرون، وقال المحبي: ألف كتبا كثيرة في عدة فنون تزيد على السنتين. توفي عام ١٥٠٧هـ.

ملامح منهج ابن علان في الشرح، ومقارنته بمنهج ابن كمال باشا:

١- بدأ بمقدمة بين فيها فضل النووي، وأهمية كتابه رياض الصالحين، وأنه استخار الله في الروضة الشريفة في وضع هذا الشرح، لأهمية الكتاب وقلة من شرحه، وفي ذلك إشارة لسبب تأليفه.

٢- لم يفصح في شرحه عن منهجه في الشرح ولا عن مصادره، كما صنع ابن كمال باشا في شرحه.

٣- بدأ بشرح مقدمة النووي للرياض، بخلاف ابن كمال باشا الذي بدأ بشرح الباب الأول.

٤- يمتاز الشرح بسلامته اللغوية وجزالة ألفاظه واستشهاداته الشعرية، والتي لا يخلو منها شرح ابن كمال باشا لكنها عند ابن علان أظهر.

٤- شرحه للأحاديث الأولى فيه طول نفس ومزيد بسط بخلاف ما جاء بعدها، و كذا كثير من الشراح في شروحهم.

٥- يبين أحيانا أصل الكلمة المشروحة وما طرأ عليها من إعلال أو إبدال كقوله مثلا: "(الادكار) بالمعجمة والمهملة، وأصله اذتكار بمعجمة ثم فوقية، فأبدلت الفوقية لما في التلفظ بها بعد الذال المعجمة من الثقل ذالاً معجمة أو مهملة، وأدغم فيها فاء الفعل، والاذكار هو الذكر بعد النسيان والتنبه بعد سنة الغفلة".

٦- ينص غالبا عند نقله من مصدر كالنهاية أو نحوه، ومن ذلك قوله: "وإلا ففي «النهاية»: الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل".

وأحيانا يذكر صاحب القول دون كتابه كقوله:" قال الراغب: الصراط الطريق المستقيم".

ولعل ذلك لشهرة كتاب من يسميه كالمفردات للراغب.

وعند عدم شهرة الكتاب أو تعدد كتب المؤلف فإنه يذكر اسم المؤلف و كتابه كقوله: قال الدميري في «منظومة رموز الكنوز»:

وأكيس الناس وأعقل الورى هم الذين زهدوا فيما ترى

إذ نبذوا الدنيا لعلمهم بهـــا ورغبوا في أختها لقربهـــا

وكقوله: قال الحافظ السيوطي في «التوشيح»: في معظم الروايات بالنية مفرداً قيل: ووجهه أن محلها القلب وهو متحد فناسب إفرادها بخلاف الأعمال فإنها متعلقة بالظواهر فناسب جمعها ا هـ.

٧- يذكر تخريج الحديث عند إجمال الشارح له كقوله: "من جملة حديث رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» وغيرهم.

وذلك في معرض شرحه لجملة (وصح عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ أنه قال: والله في عون العبد ما كان..)

ويزيد في تخريج الحديث فإذا قال المصنف مثلا: "متفق عليه" يذكر الشارح من أخرجه غير الشيخين، ومن ذلك قوله: "(متفق عليه) ورواه أبو داود والنسائي والترمذي.

٨- يشترك مع ابن كمال باشا في الكثير من مصادره مثل:

الكرماني، والبيضاوي، والقرطبي، والطيبي، ومشارق الأنوار للقاضي عياض، ولبّ الألباب للأصفهاني، «شرح الأربعين» للنووي، والتوشيح للسيوطي، والكتب الستة وغيرها.

لكن هناك عددا من المصادر التي نص عليها ابن كمال باشا في مقدمته لم يتطرق إليها ابن علان في شرحه كما أن هناك مصادر عند ابن علان لم يرجع إليها ابن كمال باشا.

٩- طريقته عند نقل قول أحد الأئمة يصدره بقوله قال فلان كقوله قال البيضاوي ثم ينقل نصه وأحيانا يختم النقل بحرفي ا. هـ (أي انتهى)، وابن كمال باشا دقيق جدا في الاقتباس فإنه ينقل لفظ من يذكر اسمه أو رمزه وبعد الانتهاء من نقل عبارته يقول: انتهى.

١٠- قد يعزو لكتاب من كتبه لمزيد بسط كقوله: "وقد بسطت الكلام في هذا المقام في حاشيتي على شرح الشيخ خالد الأزهري على «الآجرومية».

١١- يضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط بالأحرف لا سيما الأعلام كقوله: "(نفيل) بضم النون وفتح الفاء وسكون التحتية".

و كقوله:" (وعن زرّ) بكسر الزاي وتشديد الراء (ابن حبيش) بضم المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية آخره معجمة".

١٢- يذكر الفوائدالنحوية واللغوية عند شرحه الحديث كقوله في شرحه الحديث الأول:" الجملة المضارعية بدل اشتمال من مفعول سمعت أو حالية تبين المضاف المحذوف وقبله أي كلامه. وأتى به مضارعاً بعد سمع الماضي: إما حكاية لحالة وقت السماع، أو لإحضار ذلك في ذهن السامع. وما ذكر من أن ثمة مضافاً محذوفاً، والجملة بعده تبين المحذوف هو المشهور. وقيل إن سمع يتعدّى لمفعولين فلا محذوف، بل أولهما رسول وثانيهما الجملة. واعترض بأن محل تعديتها لهما إذا كانت فيما يظن، وأجيب بمنع الحصر".

١٣- يذكر فوائد حديثية و هذا مما يميزه عن ابن كمال باشا، و ينقل عن بعض كتب المصطلح ككتاب النكت للحافظ ابن حجر، ومن ذلك نقله في معرض المفاضلة بين الصحيحين ما نصه: "قال الحافظ ابن حجر في «نكته» على كتاب ابن الصلاح بعد ذكر نحو ما ذكرنا: هذا من حيث الجملة، أما من حيث التفصيل فيترجح كتاب البخاري على كتاب مسلم بأن الإسناد الصحيح مداره على اتصاله وعدالة الرواة، وكتاب البخاري أعدل رواة وأشد اتصالاً، وبيانه أن الذين انفرد لهم بالإخراج دون مسلم أربعمائة وخمسة وثلاثون رجلاً، المتكلم فيه بالضعف منهم نحو الثمانين ...".

وكنقله عن الحافظ ابن حجر في نزهة النظر شرح نخبة الفكر لبيان مراد الترمذي من قوله "حديث حسن صحيح" حيث قال:

(حديث حسن صحيح) قال الحافظ ابن حجر في شرح نخبته: إذا جمع الصحيح والحسن في وصف حديث واحد فللتردد الحاصل من المجتهد في الناقل، هل اجتمعت فيه شروط الصحة أو قصر عنها، وهذا حيث يحصل منه التفرد بتلك الرواية. قال: ومحصّل الجواب أن تردد أئمة الحديث في ناقليه اقتضى للمجتهد ألا يصفه بأحد الوصفين، بل يقول فيه حسن: أي باعتبار وصف ناقله عند قوم، صحيح باعتبار وصفه عند قوم آخرين. وغاية ما فيه أنه حذف منه حرف التردد لأن حقه أن يقول حسن أو صحيح، كما حذف منه حرف العطف في الذي بعده، وعلى هذا فما قيل فيه حسن صحيح، دون ما قيل فيه صحيح، لأن الحزم أقوى من التردد، وهذا حيث حصل التفرد، وإلا، أي: وإن لم يحصل التفرد فإطلاق الوصفين معاً على

الحديث يكون باعتبار إسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن. وعلى هذا فما قيل فيه حسن صحيح فوق ما قيل فيه صحيح فقط إذا كان فرداً، لأن كثرة الطرق تقوي اهـ.

١٤- يترجم لراوي الحديث وعند تكراره يشير إلى تقدم ترجمته، ومن ذلك قوله: "(وعن أبي موسى عبد ابن قيس الأشعري ﷺ) سبقت ترجمته في باب الإخلاص".

النتائج و التوصيات:

١- أهمية شرح ابن كمال باشا الموسوم بـ"الفوائد المترعة الحياض شرح الرياض".

٢- ما زال هذا الشرح النفيس مخطوطا لم ير النور.

٣- الشرح فيه من التفصيل والمسائل الشيء الكثير فهو يقع في ٤٧٩ ورقة، وفي كل ورقة وجهان، وفي كل وجه ٢٧ سطرا.

٤- لذا يتميز شرح ابن علان من الجانب الحديثي، كما يتميز شرح ابن كمال باشا من الجانب الفقهي والأصولي، لذا نراه في المسائل الفقهية يذكر الأقوال، ويفصل في سردها، والتدليل عليها، وبيان الراجح منها.

٥- الدقة في العزو عند ابن كمال باشا مع بيان المصادر التي رجع إليها في مقدمة شرحه.

٦- أحال ابن كمال باشا إلى عدد من المصادر بعضها غير متوفر.

٧- حث المختصين على تحقيق تراث هذه الأمة لتعم الفائدة.

٨- أهمية التعرف على مناهج علمائنا في شرحهم للاستفادة منه، ومقارنته بمناهج أخرى طلبا للفائدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين